كتـــــاب الفتـــن

فى صحيح البخارى

" دراسة بلاغية"

إعداد

دكتورة

أسماء السيد شعبان

مدرس بقسم البلاغة والنقد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

البلاغة النبوية لا يعلوها بلاغة إنسانية أخـــرى ، فقـــد امتـــن الله تعالى على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - بأنه أنزل عليه الكتـــاب والحكمة و علمه ما لم يكن يعلم ، وأدبه ربه فأحسن تأديبـــه ، فقـــد روى عن أبى بكر - رضى الله عنه - قال للنبى - صلى الله عليه وســـلم - لقد طُفت فى العرب ، وسمُعت فصاءهم فما سُمعت الذى هو أفصح منـــك - فمن أدبك ؟ فقال - عليه السلام " أدبنى ربى فأحسن تأديبى "

" وكان الرسول - عليه السلام " حريصاً على أن يخاطب كـــل قوم ، بل كل فرد على قدر حاله ، وأن تكون ألفاظـــه ملاءمـــة لمعانيـــه وأغراضه ، حتى يبلغ كلامه مكانة من قلـــوب الســـامعين ، وأن يصـــل التأثير شغاف القلوب " (١)

هذا وحبى الشديد أن أعيش فى حضرة رسولنا الكريم - صلـــى الله عليه وسلم - والتمتع ببلاغته ، وجـــدت نفســـى تســـعى وراء هـــذا الموضوع دون تردد وتفكير، فهذا شرف كبير وعظيم تمنيت أن أفوز بـــه، عسى الله أن يتقبله منى، وأما عن اختيار كتاب الفتن خاصة ، فهو لكـــثرة انتشار الفتن فى مجتمعنا ووقتنا الحاضر ، حتى نتصدى لها ونبتعد عنـــها ولا نقع فى المحذور، كما بيَّن لنا رسولنا الكريم بأسلوب بلاغـــى منقطـــع النظير، يقول الله تعالى :

(و ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

(الحشر / ٧)

(١) - دراسات بلاغية فى القرآن والحديث ١١٦ د. عبد الفتاح لاشين .

وسنحاول إن شاء الله أن نتعرف على بلاغته - صلى الله عليه وسلم - بدراسة بعض ما ورد عنه - عليه الصلاة والسلام - من الأحاديث النبوية الطاهرة من كتاب الفتن .

❁❁❁

الفتـــــن :

" جمع فتنة ، والفتنة الابتلاء والامتحـــان والاختبـــار ، وأصلـــها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب ، إذا أذبتهما بالنار لتمـــيز الـــردىء من الجيد ، والفتن الإحراق ، ومن هذا قوله عز وجل : (يوم هم علـــى النار يفتنون) الذاريات /١٣ - أى يحرقون بالنار ، والفتنـــة المحنـــة والفتنة المال والفتنة الأولاد والفتنة الكفر ، ويقال : فلان مفتـــون بطلـــب الدنيا ، قد غلا فى طلبها ، ابن سيده : والفتنة الخبرة ، وقوله عز وجل :

(إنا جعلناها فتنة للظالمين) - الصافات /٦٣ - اى خبرة [١]

وتطلق على العـــذاب كقولـــه تعـــالى : (ذوقـــوا فتنتكـــم) - الذاريات/١٤ وعلى ما يحصل عند العذاب كقو له تعالى : (ألا فى الفتنـــة سقطوا) - التوبة /٤٩ - وعلى الاختبار كقوله (وفتناك فتونا) - طه / ٤٠ - والفتنة تكون من الأفعال الصادرة من الله ومن العبد كالبلية والمصيبـــة ، والقتل والعذاب والمعصية وغيرها من المكروهات ، فإن كـــانت مـــن الله فهى على وجه الحكمة ، وإن كانت من الإنســـان بغـــير أمـــر الله فـــهى مذمومة، فقد ذم الله الإنسان بإيقاع الفتنة كقوله (والفتنة أشد من القتـــل) - البقرة / ١٩١ - وقوله (إن الذين فتنـــوا المؤمنيـــن والمؤمنـــات) [٢] - البروج / ١٠ فالمادة كلها تدور على الابتلاء والاختبار .

❁❁❁

(١) - اللسان ج ١٣ ص ٣١٧ دار صادر

(٢) - فتح البارى شرح صحيح البخارى ١٣ / ص ٣ وينظر عمدة القارئ ج٢ / ٥٧

(١)

" عن أبن أبى ملكية قال ، قالت أسماء عن النبى- صلى الله عليه وسلم - قال : " أنا على حوضى انتظر من يرد علـــى فيؤخذ بناس من دونى فأقول : أمتى ، فيقول : لا تدرى مشـــو على القهقرى " [١]

❁❁❁

اللغـــــة :

الحوض : حوض الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى يســـقى منـــه أمته يوم القيامة .

القهقرى : الرجوع إلى الخلف .. ، وهى المشى إلى خلف من غـــير أن يعيد وجهه الى جهة مشيه [٢]

❁❁❁

المعنى الإجمالى

يحدثنا رسولنا الكريم عن مشهد من مشاهد يـــوم القيامـــة ، فقـــد اختص - صلى الله عليه وسلم - بجلوسه على حوضه يوم القيامة ينتظـــر من يحضر عنده ليشرب ، فيؤخذ بناس من عنده ، فيقول أمتى ، فيقـــول الله عز وجل - للرسول - صلى الله عليه وسلم - لا تدرى ، لقد ارتـــدوا على أعقابهم ، أى بعد أن كانوا مؤمنين فقد ارتدوا كفارا والعياذ بالله .

❁❁❁

(١) - صحيح البخارى ح ٨ / ٤٢١

(٢) - اللسان ح ٥ / ١٢١

السمات البلاغية :

قوله (أنا على حوضى أنتظر) جاء المسند إليه معرفاً بضمير المتكلم (أنا) وهو أعرف المعارف ليفيد التأكيد والحصر .

وقد تقدم المسند اليه على الفعل (أنتظر) للاهتمام بالفاعل المقدم وبيان أن القصد إليه ، وذلك لأمر جلى ، وهو قصر الفعل على المقدم ، ونفيه عن جميع ما عدا المقدم ، وعلى ذلك فيكون القصر حقيقى من قصر الموصوف على الصفة .

فسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - المختص من بين العباد بأنه الوحيد الذى ينتظر أمته على هذا الحوض ليشربوا منه شربة لا يظمأون بعدها أبدا ونتأمل لفظ (حوضى) وإضافة ياء المتكلم إليه لمزيد اختصاص فهو لا يشاركه فيه أحد .

وتوحى كلمة (أنتظر) بحسن الخُلق العظيم والحرص على أمته - صلى الله عليه وسلم - وأنه لا يفارق هذا الحوض حتى يطمئن على أمته المسلمة ، ولذلك عبر بالفعل المضارع للتجدد والدوام على الانتظار.

وقوله (مَنْ يَرِدُ علىَّ) "من" هنا اسم موصول بمعنى الذى ونتأمل لفظ (من ، يرد) فقد عبر بالمفرد للاهتمام بكل من يرد عليه فرداً تلو الآخر .

وقوله (فيؤخذ بناسٍ من دونى) فقد عطف الجملة بالفاء دون غيرها من الحروف لإفادة الترتيب والتعقيب دون تراخ. فالأخذ بهؤلاء الناس معقباً على ما سبق ، ودون مهلة أو تراخ .

ونكرت (ناس) للنوعية لأن هؤلاء ارتدوا عن الإسلام ، ولا يستحقون دخول الجنة والأسلوب فيه حث على التمسك ، والثبات على الإسلام ، وزجر وردع لمن يرتد عن الإيمان لعله يرجع عما هو فيه من عناد وكفر ومكابرة .

وقد عبر بقوله (من دونى) ولم يقل (من عندى) ليبين أن هؤلاء الناس لم يستحقوا ان يكونوا من أمته ، ولكنهم حرموا أنفسهم من هذه الخاصية الجميلة ، التى لم يختص بها أحد سوى أمته - صلى الله عليه وسلم -

وقوله (فأقول أمتى) يوحى بحرص الرسول - صلى الله عليه وسلم - على أمته ، ولذلك عطف الجملة بالفاء لتفيد الترتيب والتعقيب على ما سبق ودون تراخ ، ونحس فى الأسلوب مدى حزن الرسول - صلى الله عليه وسلم - على من ارتد من أمته وكأنه يتحسر على هذا فينادى أمته بقوله (أمتى) فرد عليه سبحانه وتعالى تسلية له دون تراخ بقوله (فيقول لا تدرى : مَشْوا على القَهْقَرى)

وفى قوله (مشوا على القهقرى) استعارة تمثيلية ، والمراد رجعوا عن دينهم وكفروا بعد إيمانهم فيكونون كالراجع على عقبة عاكسا لقدمه ، وناكصاً بعد تقدمه [1] شبه هيئة المرتد الراجع عن دين الحق بهيئة الراجع إلى الوراء الذى يتقهقر للخلف ، والاستعارة توضح المعنى، وتصور الشئ المعنوى وهو الرجوع عن الدين والكفر بالشئ المحسوس ،

---

(١) المجازات النبوية ص ١١٧ ، ١١٨ . ينظر دراسات بلاغية فى القرآن والحديث / ١٥٤ د عبد الفتاح لاشين

وهو التقهقر الى الوراء ، وقد عبر بالماضي (مشوا) لتحقق وقوع هـــذا الفعل منهم ، وأن العذاب واقع عليهم لا محالة ، وتوحى لفظة (قــهقرى) مدى الهزيمة والذل ، ألا ترى أنه يقال جيش متقهقر إلـــى الــوراء ، أى تخلف وتزحزح عن مكانه ، بعد أن كان منتصرا ، فالنصر فـــى التقــدم دائما ، ففى الإيمان تقدم ونصر للأمة دائماً ، أمـــا الكفــر فــهو هزيمــة لصاحبه ، وتخلف

عن الحق والطريق المعتدل .

(٢)

(عن الزهرى عن عروة عن أسامة بن زيد - رضى الله عنهما - قال : أشرف النبى - صلى الله عليه وسلم - على أطم من اطام المدينة فقال : هل ترون ما أرى ؟ قالوا لا ، قال: فإنى لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر) [١]

❁❁❁

اللغـــــة :

أشرف : علا وارتفع أى اطلع من مكان عال

أطـم : الأطم : حصن مبنى بحجارة ، وقيل هو كل بيت مربع مسطح ، والجمع القليل آطام.[٢]

خلال : أى بين البيوت ووسط الدور [٣]

القطر : المطر ، وسحاب قطور ومقطار : كثير القطر [٤]

❁❁❁

المعنى الإجمالى

يتحدث الرسول الكريم مع أصحابه عن وقوع الفتن عندما تنتشر بينهم ، ليتأهبوا لها ، فلا يخوضوا فيها ، وهذه معجزة ظاهرة للرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ أنه كشف له فأبصر ذلك عيانا ، وقد اختصت المدينه بذلك لأن قتل عثمان - رضى الله عنه - كان بها ، ثم انتشرت

---

(١) - صحيح البخارى ج٨ / ٤٢٤

(٢) - اللسان ج١٢ /١٩

(٣) - اللسان ١١ / ٢١٣

(٤) - اللسان ٥ / ١٠٥

الفتن فى البلاد بعد ذلك ، فالقتال فى الجمل وصيفين كان سبب قتل عثمان، والقتال بالنهر وان كان بسبب التحكيم بصيفين ، وكل قتال وقع فى ذلك العصر، إنما تولد عنه شئ من ذلك [1]

❁ ❁ ❁

السمات البلاغية

بدأ الرسول – صلى الله عليه وسلم -الحديث بهذا الاستفهام التشويقى (هل ترون ما أرى ؟) والرسول – صلى الله عليه وسلم – يعلم أنهم لا يرون ما يرى ، لأن هذه الرؤيا معجزة ، قد تحققت له عندما شاهد ذلك عيانا ، فقد جاء الرسول – عليه الصلاة والسلام – بأسلوب الاستفهام لتشويق السامع وتأهبه إلى ما يرى الرسول - صلى الله عليه وسلم – وهكذا يصل الرسول الكريم بهذا الأسلوب البليغ إلى عقول مخاطبيه ووجدانهم ، ويفتح أعينهم على حقيقة سوف تقع ويجب ألا يغفلون عنها ، ويتأهبون لها ، وهل يطلب بها التصديق، وتمحص المضارع للاستقبال ، مثلها فى ذلك مثل السين وسوف .

وفصل بين الجملتين (قالوا ، لا) و (قال فإنى لأرى الفتن) لشبه كمال الاتصال .

---

(١) – فتح البارى ج ١٣/ ١٢، ١٣ بتصرف

وقد أكدت الجملة (فإنى لأرى الفتن ..) بأكثر من مؤكد لزيـــادة التحذير من وقوع الفتن ، وأنها واقعة لا محالة ، فيجب عدم الخوض فيـها والسعى وراءها ، وفيه تنبيه لوقوع الفتن وانتشارها .

وفى قوله (فإنى لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقـــع القطـــر) ، تشبيه تمثيلى ، شبه هيئة وقوع هذه الفتن بينهم بنزول المطر فى الكـــثرة والعموم ، و لاشك أن هناك ضررا ناتجا عن أثر هذه الفتن ، وقد صـــور التشبيه وقوع الفتن بصورة محسوسة مرتبطة بالحياة مما زادها وضوحا.

وعبر بلفظ (الفتن) بصيغة الجمع لكثرة وقوع هذه الفتن فى هـذا الزمان ، ويوحى قوله (خلال بيوتكم) بكثرة الفتن ، وفى إضافة ضمـــير الخطاب إلى بيوت تنبيه وتحذير بأسلوب الالتفات مـــن المتكلـــم (فـــإنى لأرى) إلى الخطاب ، للحذر من وقوع هذه الفتن .

❁ ❁ ❁

(٣)

(عن هند بنت الحارث الفارسية أن أم سلمة زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - قالت : استيقظ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة فزعا يقول : " سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن وماذا أنول من الفتن ، من يوقظ صواحب الحجرات ، يريد أزواجه - لكى يصلين ؟ رب كاسية فى الدنيا عارية فى الأخرة) [١]

اللغـــــة :

الخزائن :جمع خزانة بكسر الخاء، وهى اسم الموضع الذى يخزن فيه الشئ ، وفى التنزيل " وإن من شئ إلا عندنا خزائنه " [٢]

المعنى الإجمالى

رؤيا الأنبياء حق ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يتعجب من رؤيا رآها ، وهى فتح الخزائن ونزول الخيرات على الأرض ، وفى المقابل أيضا نزول الفتن ، ففتح الخزائن ينشأ عنه فتنة المال ، بأن يتنافس فيه فيقع القتال بسببه ، فأراد الرسول تحذير أمته من وقوع الفتن بسبب المال .

---

(١) - صحيح البخارى ج ٨ / ٤٢٥

(٢) - اللسان ج ١٣ / ١٣٩

السمات البلاغية

بدأ الحديث الشريف بلفظ التعجب (سبحان الله) للإثارة والتشويق وتحريك النفس الى معرفة المتعجب منه ، وتستلزم استعظام ما يذكر بعدها .

واقترن التعجب بالاستفهام (ماذا أنزل ..) والمراد بالاستفهام التعجب والتنبيه لزيادة الترغيب والترهيب ، والتنبيه إلى خطورة اثر هذه الفتن على العباد، والتى يتسبب عنها وجود المال ، وفيه تحذير من ذلك ، والابتعاد عن الفتن بالدعاء والتضرع، وكرر الاستفهام (وماذا أُنزل من الفتن) لزيادة الترهيب والتحذير من أمر هذه الفتن ، لما لها من ضرر جسيم على الأمة الإسلامية .

وصل بين الجملتين بالواو " للتوسط بين الكمالين " لاتفاق الجملتين فى الإنشائية مع وجود الجامع بينهما ، وهو الاتفاق فى المسند إليه والمسند .

ونتأمل الطباق الخفى بين (الخزائن والفتن) فيستلزم من فتح الخزائن الخيرات ، ويستلزم من الفتن الشرور ، ويوحى الأسلوب بأن نزول الخيرات فيها اختبار ، وابتلاء من الله سبحانه للعبد.

ونلمح المجاز المرسل فى قوله " الخزائن " فقد اطلق (الخزائن) وأراد الخيرات التى بداخلها والعلاقة المكانية ، وفى ذلك ما يوحى بكثرة الخيرات على العباد وكرم الله سبحانه وتعالى.

وقوله (من يوقظ صواحب الحجرات) استفهام معناه الأمـــر أى " أيقظوا " وفيه ندب وحث على الدعاء والتضرع ليلاً وهو كنايـــة عـن أزواج النبى - صلى الله عليه وسلم -

ونتأمل جمال المقابلة فى قوله (رب كاسية فى الدنيا عارية فـــى الآخرة) ففيه ترغيب فى العبادة والصلاة ، ولاسيما بالليل ، وعمل الخـير فى الدنيا . وشبه هيئة شمول الإنسان بالنعم والخيرات التى أنعم الله بـــها عليه بهيئة الثبات يستر عورة الإنسان .

كما شبه حال الإنسان وخلوه من الثواب يـــوم القيامـــة ، بهيئـــة الانسان المتجرد من الثياب وقد ظـــهرت عورتـــه (اســـتعارة تمثيليـــه) واسلوب الاستعارة أقدر على إبراز المعانى وتوضيحها بما يتضمن مـــن عرض للمعانى فى صـــورة حســية ملموســة ، والنفـس أشـد تـأثيرا بالمحسوس.

وهكذا يصل الرسول الكريم بهذا الأســلوب البليـغ إلـى عقـول مخاطبيه ووجدانهم ويفتح اعينهم على حقيقة يجب الامتثال لـــها ، وهـــى الشكر والدعاء والتضرع ، والتذكر بالآخرة وأنها هى الباقية الخالدة .

❁ ❁ ❁

(٤)

(عَنْ همَّامٍ سَمَّعتُ أَبا هُريرة عَنْ النبَّى - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : " لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يردى لعل الشيطان ينزغ فى يده ، فيقع فى حفرة من النار"[١]

❁ ❁ ❁

اللغة :

لعل : طمع واشفاق ومعناهما التوقع لمرجو او مُخوف [٢]

ينزغ : ينزغُ نزعاً اى افسد واغرى وهو وساوسة ونخسهُ فى القلب مما يسوّل للإنسان من المعاصى [٣]

❁ ❁ ❁

المعنى الإجمالى

الرسول الكريم يبين شدة حرصه وخوفه على أمته الإسلامية فيرسى لهم تعاليم يجب ان تكون بين المسلم واخيه ، فقد نهانا الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن مجرد الإشارة بالسلاح على غيرنا من المسلمين ، فربما ينزغ الشيطان فيوقع بينهما بالوسوسة فيَّسول له قتل أخيه ، فيكون جزاؤه النار وبئس المصير .

❁❁❁

(١) - صحيح البخارى ج٨ / ٤٢٦

(٢) - اللسان ٤٧٣/١١

(٣) - اللسان ٨ / ٤٥٤

السمات البلاغية

بدأ الحديث بالأسلوب الإنشائى الطلبى ، وهو النهى عن مباشـــرة أسباب الوقوع فى المحذور ، وعبر بفعل الإشارة وذلك مبالغة فى البعـــد عن هذا المحذور.

وعبر بالمضارع (يشير) لاستحضار هذه الصـــورة فـــى ذهـــن المخاطب حتى يبتعد عنها وينفر منها .

والتعبير بلفظ (أحدكم) لإفادة التعميم ، والنهى موجه إلى جميـــع المؤمنين والتعبير بلفظ (أخيه) للإشعار بأن المسلمين إخوة .

والفاء فى (فإنه) تفيد التعقيب والترتيب دون تراخ ، كمـــا تفيـــد (إن) التأكيـــــــد

والالتفات ، من الخطاب فى (أحدكم) إلى الغيبة فـــى (فإنـــه لا يدرى) للإصغاء والانتباه الى هذا الأمر ، ووقع خطورتـــــه فـــى نفـــس السامع ليتجنب إقباله على هذا الفعل القبيح ، الذى هو من الشيطان .

وقوله (لعل الشيطان ينزغ فى يده) لعل تفيد التوقع من مخـــوف وهو القتل وينزع فى يده مجاز مرسل ، وأسند الـــنزغ إلـــى اليـــد لأنـــها موضع السلاح والأداة التى يكون بها الضرب .

وقوله (فيقع فى حفرة من النار) كناية عن وقوعه فى المعصيـــة التى تفضى به إلى دخول النار .

وفى هذا التعبير استعارة تمثيلية ، حيث شبه هيئة وقوع المؤمـــن فى المعصية ومباشرة أسبابها بهيئة من يقع فى حفرة من النـــار ، وعـــبر بالشئ المعنوى بصورة حسية ، ليبرز المعنى ويوضحه فى ذهن السامع .

والعطف بالفاء فى (فيقع) تفيد الترتيب مع التعقيب دون تـــراخ فالوقوع فى المعاصى يترتب عليه العقاب وهو الدخول فى النار .

❁ ❁ ❁

(٥)

قال عبد الله - رضى الله عنه - قال النبى : صلى الله عليه وسلم - :

" سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر " [١]

❁ ❁ ❁

اللغة

سباب : السَّبُّ : الشتم ، وهو مصدر سبَّه يسبه سباً : شتمه [٢]

فُسوق : الفسق : العصيان والترك لأمر الله عز وجل والخروج عن طريق الحق ، وفسق إبليس عن أمر ربه ، أى جار ومال عن طاعته [٣]

الكفر : نقيض الإيمان

❁ ❁ ❁

المعنى الإجمالى :

يوضح لنا الرسول الكريم بأن سباب المسلم للمسلم يكون معصية، وخروج عن الحق ، وقتاله كالكفر، وقد ساق هذه الزواجر بأسلوب خبرى موجز ، وفيه زجر وتنفير لمن يقدم على مثل هذا لئلا يفضى هذا إلى الوقوع فى المحذور ويوحى الحديث بالتعامل الطيب بين المسلمين .

❁ ❁ ❁

---

(١) - صحيح البخارى ٤٢٦/٨

(٢) - اللسان ٤٥٦/١

(٣) - اللسان ٣٠٨/١٠

السمات البلاغية

ساق الرسول الكريم الحديث بأسلوب خبرى لفظا إنشائى معنى ، أى لا تسبون المسلم فإنه فسوق ، ولا تقتلونه فإنه كفر ، وذلك للحث على سرعة الامتثال لما نهى عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم -

وخص المسلم بالذكر لإفادة التخصيص ، وعبر بالمفرد موضع الجمع والمراد العموم.

ووصل بين الجملتين بالواو - للتوسط بين الكمالين - لاتفاق الجملتين فى الخبرية فى اللفظ مع وجود الجامع بينهما ، وهو الاتفاق فى المسند إليه ولا يخفى ما بين السباب والقتل من تناسب ، فهما من المعاصى.

وقوله (وقتاله كفر) تشبيه بليغ فقد شبه قتال المسلم بعمل الكافر مبالغة فى التحذير ، والتنفير من الاقبال على هذا الفعل .

والتعبير بالضمير فى (وقتاله) للاستغناء عنه بالاسم الظاهر السابق ، ويحمل الحديث معانى كثيرة فى خمس كلمات فهو من إيجاز القصر .

والتعبير بهذه الصيغ (سباب ، فسوق ، قتال ، كفر) توحى بالمبالغة فى عظم جُرم هذه المعاصى ، والمبالغة فى التحذير والتنفير منها .

(٦)

(عن أبى هُريرةَ - رضى الله عنه - قَالَ : قالَ رسَـــوُل الله - صلى الله عليه وسلم - " ستكون فتن القاعد فيها خـــير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خـــير من الساعى، من تشرف لها تستشرفه فمن وجد فيـــها ملجـــأ أو معاذاً فيعذبه) [١]

❁❁❁

اللغـــــــة :

تشرف : تشرف الشئ واستشرافه : وضع يده عليه حاجبه كالذى يستظل من الشمس يُبصر، وأصله من الشرف والعلو كأنه ينظر إليه من موضع مرتفع ، فيكون اكثر لإدراكـــه [٢]

ملجأ : موضحا يلتجئ اليها ،

معاذا : موضع العوذ وهو بمعنى الالتجاء ايضا .

❁ ❁ ❁

المعنى الاجمالى

يحذر الحديث من الفتـــنة ، ويحث على اجتناب الدخول فيـــها وأن شرها يكون بحسب التعلق بها ، فيكون القاعد عن الفتن فى زمانها خـــير من القائم الذى لا يتطلع إليها ، والقائم خير من الماشى ، فربما يقع بســبب مشيه فى أمر يكرهه . والماشى خير من الساعى إليها، والمراد بالأفضليـة فى هذه الخيرية ، من يكون أقل شراً ممن فوقه على التفضيل المذكـــور،

---

(١) - صحيح البخارى ٤٢٨/٨

(٢) - اللسان ١٧١/٩، ١٧٢

ومن تطلع لها بأن يتصدى ويتعرض لها تهلكه فمن وجد ملجـــأ يلتجـئ إليه من شرها ، فليعتزل فيه ليسلم من الهلاك [1]

السمات البلاغية

بدأ الحديث الشريف بقوله : (ستكون) فدخلت السين على الفعـل المضارع (تكون) لتأكيد وقوع ما سيأتى بعد لا محالة .

وجاء بلفظ (فتن) نكرة وجمع ليشمل جميـــع الفتـن بـاختلاف الأزمنة ثم نتأمل الطباق بين (القاعد والقـــائم) و (القـائم والماشـــى) و(الماشى والّساعى) لتأكيد وتثبيت هذا الأمر فى ذهن السامع وبـــالضد تتميز الأشياء و تتأمل حسن التقسيم بيـن الجمـل ممـا زادهـا بلاغـة وانسجاماً

وعطف بين الجمل الثلاث بالواو " للتوسط بين الكمالين " للاتفاق فى الخبرية مع وجود الجامع ، والتناسب بين المعانى بالتضاد .

ونتأمل الحرف " فيها " وقد تكرر أربـــع مـرات فـى الحديـث الشريف : للتأكيد والتنبيه والتحذير من الوقوع فى الفتن .

وتكرار (الخيرية) فيمن يكون أقل شـــراً ممـن فوقـه للتنبيـة والتحذير من الجرى وراء الفتن والابتعاد عنها .

وقوله (من تشرف لها تستشرفه) مشاكله لفظية بيـــن "تشـرف و" تستشرفه "، فـ " تشرف " بمعنى تطلـع ، و " تستشـرفه " بمعنـى تهلكه ، فعبر بالاستشراف فى الثانية لوقوعه فى صحبة تشرف الاولـى ،

---

(١) – شرح البارى ٣١،٣٠/١٣ وانظر عمدة القارئ ج ٧٤/٢ ، ٧٥ بتصرف

فكما أنه يتطلع للفتن فهى أيضا تتطلع إليه فتهلكه والتعبير بقوله : (فمن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذبه) كناية عن التمسك والثبات والابتعاد عن الفتن وهو الطريق الأقل شراً.

❁ ❁ ❁

(٧)

حَدثَنَّى بُشْرُ بن عُبيَدْ الله الْحَضْرمُّى اَنهُ سمَعَ اَبا إدريس الْخوْلانِيَّ اَنَّه سَمعَ حُذَيْفةَ بن الْيمَان يَقُولَ :

(كان الناس يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة ان يدركنى فقلت : يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم : قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال : نعم وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هدى ، تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال " دعاة على ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها " قلت : يا رسول الله صفهم لنا ؟ هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قالت: فما تأمرونى إن أدركى ذلك ؟ قلت " تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال : فأعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدرك الموت وأنت على ذلك) [1]

❁ ❁ ❁

(١)- صحيح البخارى ٤٢٩/٨

اللغة :

الشـــر : السوء ، والشر ضد الخير [١]

جاهلية : الجهل نقيض العلم والجاهلية زمن الفترة ولا اسلام[٢]

دخـــن : الكدورة إلى السواد [٣]

تعض : العضُّ الشد بالأسنان على الشئ ، والمراد هنا الاستمساك بـــأمر الدين [٤]

❁❁❁

المعنى الاجمالى :

يوضح لنا الحديث الشريف ادب الحوار بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، وهم يسألون ، والرسول - صلى الله عليه وســلم - يجيب بأسلوب الداعية البليغ ، الذى يدعو بالنصيحة والإرشاد .

فيبين للمسلم ماذا يفعل فى حال الاختلاف والفتنة ، إذا لـــم يكـــن هناك جماعة ، فإذا وقع خلاف ، ولم يكن خليفة فكيف يفعل ، فيقول لـــــه الرسول - صلى الله عليه وسلم - اعتزل جميع الناس ولـــــو ان تعـــض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وذلك خير لك من دخولك فى طائفـــة لا إمام لهم ، خشية ما يؤول من عاقبة ذلك من فســـاد الأحـــوال واختـــلاف الأهواء.[٥]

❁ ❁ ❁

---

(١) - اللسان ٤٠٠/٤

(٢) - اللسان ١٢٩/١١

(٣) - اللسان ١٥٠/١٣

(٤) - اللسان ١٨٨/٧

(٥) - عمدة القارئ ٧٧/٢٠ بتصرف

السمات البلاغية :

النداء فى قوله " يا رسول الله " نزل المنادى القريب منزلة البعيد للتعظيم تنزيلا لبعد منزلته منزلة بعد المسافة ، وقد أكد قوله (إنا كنا فى جاهلية وشر) بإن واسمية الجملة لتأكيد أنهم كانوا فى الماضى فى جاهلية الكفر .

ثم عطف الجملة الثانية بالفاء لإفادة الترتيب والتعقيب (فجاءنا الله بهذا الخير) وحرف الوعاء " فى جاهلية " يفيد الانغماس فى الكفر وتنكير (جاهلية و شر) يفيد عموم وشمول ما كانوا عليه من كفر وضلال وقوله " فجاءنا الله بهذا الخير " المراد ارسل إلينا الله الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعبر بـ (فجاءنا الله) للتأكيد بأن هذا الخير هو من عند الله ، وأن الجاهلية والكفر ليست من عنده .

وعبر بأسم الإشارة (هذا) للقرب وأن هذا الإيمان متحقق لهم وليس بعيداً عنهم ، وعرف لفظ " الخير " للتعظيم وانه معروف لدى الناس جميعاً .

وفى قوله (إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير) استعار (الجاهلية والشر) للكفر والمعاصى واستعار (الخير) للإيمان .

ووصل بين الجملة الثانية (وهل بعد ذلك الشر من خير) والتى قبلها للتوسط بين الكمالين - للاتفاق فى الإنشائية والتناسب بين المعانى (الخير والشر) بالتضاد.

وقوله (وفيه دَخَنٌ) استعار لفظ (دخن) للإيمان غير الخالص ، فقد شبه هيئة الإيمان المشوب بالكدورة (وهى المعاصى) بهيئة النار يخالطها الدخان ، أو أنه كناية عن الحقد الذى فى القلوب فتكون غير صافيه .

وجاء الرسول الكريم بالتفصيل بعد الإجمال وقال (قوم يهدون بغير هدى ، تعرف منهم وتنكر) وطابق بين (تعرف وتنكر) اى من آرائهم ما تأخذونه لصحته ، ومنه ما ترفضونه لخبثه .

وفى قوله (دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) - تشبيه تمثيلى . شبه هيئة من يدعو الناس الى الكفر والمعصية ويستجيبون له وما يترتب على ذلك من عقاب ، بهيئة دعاة يقفون على أبواب جهنم ويدعون الناس فيجيبون لهم فيقذفونهم فى النار .

وتتأمل لفظ (دعاة) وما يوحى به من كثرة هؤلاء ، وجاء بلفظ (أبواب) جمع ليفيد بأن ابواب جهنم كثيرة ومتنوعة .

وعبر بالفعل الماضى فى (قذفوه) ليوحى بأن من يستجيب لهم فإن عذابه واقع ومتحقق .

والتصوير يوحى بالتنفير من اتباع مثل هؤلاء الدعاة، والبعد عنهم ، وفيه نصح وارشاد من الرسول الكريم لأمته الإسلامية وقوله (ولو أن تعض بأصل شجرة) كناية عن المكابدة والمشقة والتمسك بالدين، وعدم اتباع الفرق الخارجة عن الدين .

وقوله (حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) مبالغة فى التمسك والمكابدة من أجل اتباع جماعة المسلمين .

والحديث الشريف يحذر المسلمون من اتباع الفرق الخارجة عن تعاليم الإسلام ويحث على الامتثال باتباع جماعة المسلمين وإمامهم حتى لا تكون فتنة وإلا فالاعتزال هو الطريق الصحيح ، والحل الأمثل للابتعاد عن انتشار الفتن.

(٨)

عن زيد بن وهب ، حدّثنا حُذيفةُ قالَ : حدَّثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثين رأيتُ احدهمَا وأناَ أنتظرَ الآخر حدَّثناَ " أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ، ثم علوا من القرآن ، ثم علموا من السنة وحدثنا عن رفعها قال : " ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل كحجر دحرجته على رجلك فنفط فتراه فتبرأ وليس فيه شئ ويصبح الناس يتبايعون ، فلا يكاد أحد يؤدى الأمانة فيقال : إن يؤدى الأمانة فيقال : إن فى بنى فلان رجلا أمنيا ، ويقال للرجل: ما اعقله وما أظرفه وما أجلده ، وما فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى على زمان ولا أبالى أيكم بايعت ، لئن كان مسلما رده على الإسلام وإن كان نصرانيا رده على ساعيه وأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا "[1]

❁ ❁ ❁

(١) - صحيح البخارى ٨/٤٣٠

اللغـــــة

حـذر : جذر كل شئ : أصله [١] وجذر قلوب الرجال اى اصلها .

فتقبض : يقبض الأرواح عند الممات وفى الحديث يقبـــض الله الأرض ويقبض السماء اى يجمعهما .[٢]

الوكت : الوكته : الأثر فى الشئ كالنقطة من غير لون والجمع وكت [٣]

المجل : اثر العمل فى الكف ، والمجل : ان يُصب الجلد نـــار أو مشـــقة فيتنفط ويملتئ ماء [٤]

جمر : النار المتقدة فإذا برد فهو فحم [٥]

فنفط : نفطت يده بالكسر ، قرِحتْ من العمل

مُنتبرا: منتفخا [٦]

❁ ❁ ❁

المعنى الإجمالى :

يفصل لنا الرسول الكريم نزول الأمانة فى أصل قلـــوب الرجـــال والمراد بها الإيمان بالله ورسوله - وقد تعلموا تعاليم القرآن بما فيه مـــن أوامر ونواهٍ ، كما تعلموا السنة النبوية واجباً كان او مندوبـــاً ، ويحدثنـــا الرسول الكريم عن رفعها من قلوب الرجال ، وذلك بضعـــف الإيمـــان ، فالأعمال السيئة لا تزال تضعف الإيمان ، حتى إذا تناهى الضعف لم يبـــق إلا أثر الإيمان ، وقد قرب لنا الرسول الكريـــم هـــذه المعـــانى المعنويـــة

---

(١) - اللسان ١٢٣/٤

(٢)- اللسان ٢١٣/٧

(٣) - اللسان ١٠٨/٢

(٤) - اللسان ١١٦/١١

(٥)- اللسان ١٤٤/٤

(٦) -اللسان ٤١٦/٧

فى صور حسية لتكون واضحة وقريبة من الأذهان ، وإذا أصبح النـــاس هكذا، فعلينا بخاصتهم وندع عوامهم أن نتعامل مع الخاصة الذين نعرفـهم، وندع غيرهم لأن من خالط أهل الخيانة فإنه يصير منـــهم ، لأن القريـــن يقتدى بقرينه ، فالحديث ينذر برفع الأمانة ، حتى يصير الإنســـان خائنـــا بعد أن كان أمينا [1]

❁ ❁ ❁

السمات البلاغية :

بدأ الحديث الشريف بالأسلوب الخبرى المؤكد بأن واسمية الجملة، لتأكيد هذا الأمر وثبوته فى ذهن المخاطب وأنه ليس فيه شك .

وقوله (أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال) فيـــه اســـتعارة مكنية ، شبه قلوب الرجال بشجرة ثم حذف المشبه به ، ورمز اليه بشـــئ من لوازمه وهو الجذر .

وعبر بالماضى فى (نزلت) لتحقق الوقوع .

وأتى بالحرف (فى) التى للوعاء لإفادة التمكين فى القلب وعـــبر بلفظ (الرجال) لإفادة الجنس ، وفيه مجاز مرسل ، فقد اطلق البعـــض ، واراد الكل ، فالخطاب موجه إلى كل المكلفين ويحتمل أن يكون للتغليب .

---

(١) – ينظر فتح البارى ج ١٣ ص ٣٩ وينظر عمدة القارئ ٨٠/٢٠ بتصرف

وجاء الرسول الكريم بالجملة الثانية معطوفة بثم (ثم علموا من القرآن) للتراخى والترتيب ، فيفيد أن هناك وقت بين نزول الأمانة وتعاليم القرآن ، والحرف (من) يفيد التبعيضى ، فتعاليم القرآن لم تنته إلى يوم الساعة ثم أعاد قوله (ثم علموا ...) للتأكيد والتسجيل على من لم يعمل بتعاليم القرآن والسنه ، فليس له أى حجة فى ترك الأمانة ، بعد أن علم الأوامر والنواهى التى وردت فى القرآن والسنة .

وقوله (عن رفعها) مجاز بالاستعارة حيث شبه الأمانة بالشئ الذى يرفع (استعارة تبعية) .

وبين قوله (نزلت) و(رفعها) طباق وضح المعنى .

و فى الأسلوب (ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه) لفظ (ينام الرجل النومة) كناية عن ضعف الإيمان فى قلبه وذلك بنزع الأمانة من قلبه فهو لا يفعل ما أمره الله به ولا ينته عما نهاه الله .

وبين (ينام و النومة) جناس اشتقاق لتحسين الايقاع وفى هذا الأسلوب (استعارة تمثيلية) فقد شبه هيئة من يضعف إيمانه وتذهب عنه الأمانة بهيئة الرجل الذى ينام فتقبض روحه ، وفى كلا الحالتين انتهاء ، ففى الأول انتهاء الأمانة من قلبه ، والثانى انتهاء للحياة ، ولا يبقى إلا الأثر ، وفيه حث للامتثال ، وتحذير من ضعف الإيمان فى القلوب .

وقوله (فيظل أثرها مثل أثر الوكت) شبه أثر الأمانة بعد زوالها بأثر الوكت (النفط الواضحة فى القلب لأنها فى غير لونه) والتشبيه يوحى بأن الإيمان اذا دخل واستقر فى القلب فنتج عنه الأمانة ، والعمل الصالح ، أما إذا زال لم ينتج عنه سوى الخيانة ، وفى هذا توضيح

للمعانى فى ذهن المخاطب ، ثم يفصل لنا رسولنا الكريم ضعف الأمانة شيئا فشيئا فى صورة تشبيه تمثيلى فيقول (ثم ينام النومة فتقبض فيبقى فيها اثرها مثل اثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه فتبرأ وليس فيه شئ) شبة هيئة اثر الأمانة بعد زوالها من القلب وما تتركه من قبح فى الأخلاق والتصرفات ، والمعاملات بالأثر الذى يكون فى اليد الناتج عن العمل الشاق كالذى يكون بالفأس أو العصا مثلا ، ويفصل لنا الرسول الكريم المشبه به بالجمر الذى يدحرجه الرجل على رجله حتى يقع بالأرض ، فيترك أثر الحروق والجروح المنتفخة التى ليس بها ماء ، وقوله (ليس فيه شئ) يوحى بعدم شفاء هذه الحروق فأثرها لا يزول وتظل منتفخة ، وفيه تنفير من هذه الصور حتى لا يمل المسلم من العمل الصالح ، ويزيد الصورة جمالا ما فيها من الإيغال بقوله (ليس فيه شئ)

وقوله (ويصبح الناس يتبايعون) التعبير بلفظ يصبح يوحى بأن هؤلاء الناس كانوا نياما أو غافلين .

وقوله : (فلا يكاد أحد يؤدى الأمانة) كناية عن نقص الأمانة بين الناس ، ويكاد هنا تفيد القرب من الشئ وقد سبقها نفى [1]

والأسلوب يؤكد أن هناك من يتصف بالأمانة ، بدليل قوله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك (فيقال ان فى بنى فلان رجلا أمينا) وبذلك يكون من اتصف بالأمانة معروفا ومن اتصف بالخيانة معروفا .

(١) - البرهان للزركشى ج/٤ ص ١٣٦

ووصل بين الجمل الثلاث (ما أعقله ، وما أظرفه ، وما أجلـده) للتوسط بين الكمالين ، فالتناسب واضح ، فهناك اتفاق فى الصيـغ وهـى أفعل التفضيل ، والمسند إليه واحد ، وهو الضمير العائد على هذا الرجـل، وهناك تناسب فى المعنى ايضا ، فالعقل والظرف والجلد كلها أمور مدح.

ونتأمل قول الرسول - صلى الله عليه وسلم (وما فى قلبه مثقـال حبة من خردل من إيمان) كناية عن زوال الإيمان مـن قلبـه وضيـاع الأمانة .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - (ولقد أتى علىَّ زمان ولا أبـالى أيكم بايعت)

أكدت الجملة باللام وقد ، وعبر بالفعل المـاضى (أتـى) ، ليفيـد تحقيق الوقوع والمراد تأكيد وجود الأمانة فى الناس فى زمن الرسـول - صلى الله عليه وسلم - ولهذا قال (ولا أبالى أيكم بايعت) أى كان يُقـدم على مبايعة من اتفق من غير بحث عن حالة.

وقوله (أيكم بايعت) أفاد التخصيص والحصر لتقديم أيكم علـى الفعل ، وليس المراد البيع نفسه ، ولكن المقصود والأهم هـو الشـخص الذى يبتاع للتأكيد والمبالغة.

وقوله (وأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا) أى أنه لا يبـايع إلا أفرادا من الناس يثق بهم ، فقصر المبايعة على من يثق بهم ، والمـراد باليوم هنا الزمان الأخير ، وما يليه وليس زمان الرسول - صلى الله عليـه وسلم - والخليفتين - رضى الله عنهما .

❁ ❁ ❁

(٩)

عن سليمان سمعت أبا وائل قال : قيل لأسامة ألا تكلم هذا ؟ قال قد كلمته ما دون أن أفتح بابا أكون أول من يفتحه و ما أنا بالذى أقول لرجل بعد أن يكون اميرا على رجلين أنت حير بعد ما سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " يجاء برجل فيطرح فى النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه ، فيطيف به أهل النار فيقولون أى فلان، ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول إنى : كنت آمر بالمعروف و لا أفعله وآنهى عن المنكر وأفعله " (١)

❁ ❁ ❁

اللغـــــة :

يطرح : طرح الشى وطرحه طرحا ، رمى به والطرح الشئ المطروح لا حاجة لأحد فيه (٢)

يطحن : الطحن والطحين المطحون والطحن الفعل (٣)

❁ ❁ ❁

(١) - صحيح البخارى ٤٣٤/٨

(٢) - اللسان ٥٢٨/٢

(٣) - اللسان ٢٦٤/١٣

المعنى الإجمالى :

يشير الحديث الشريف الى غلق باب الفتن ، وعدم الخوض فيما يؤدى إليها ، وأن يتجنب الإنسان ذلك ولا ينكر على الأئمة علانية خشية ان تفترق الكلمة ومناسبة ذكر أسامة هذا الحديث هنا ، ليتبرأ مما ظنوا به من سكوته عن عثمان - رضى الله عنه - فى أخيه وقال: قد كلمته سرا دون أن أفتح باب الإنكار على الأئمة علانية خوفا من أن تفترق الكلمة ثم عرفهم بأنه لا يداهن أحدا ولو كان اميرا بل ينصح له فى السو جهده [1] ، ثم ذكر حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتمثيل برجل يطحن فى النار كطحن الحمار برحاه لأنه كان يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله .

❁ ❁ ❁

السمات البلاغية :

التشبيه التمثيلى فى أول الحديث ، شبه هيئة الرجل الذى يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله بهيئة طحن الحمار برحاه والاستفهام فى (ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر) للتقرير، بدليل قوله بعد ذلك (إنى كنت آمر بالمعروف ولا أفعله وأنهى عن المنكر وأفعله ؟) فقد أقر على نفسه فى الأخرة بما لم يقره فى الدنيا وجاء الإقرار مؤكدا بإن ، والتعبير بالماضى (كنت) لتحقق وقوع هذا الفعل فيه .

---

(١) - فتح البارى ١٣/٥١: ٥٣ بتصرف وعمدة القارئ جـ٢٠ / ٨٨ بتصرف

والصورة تحذر من يقبل على هذا الفعل ، وفيها إهانـــة وتحقـير لمن يقع فى المحذور ، والتعبير بلفظ (يطرح) يوحى بأنـــه يرمـــى بـــه ولا حاجة لأحد فيه وفيه إهانة وتحقير له .

والتعبير بصيغ المضارع (يجاء يطرح - يطيف - يقولـــون) للتجدد والاستمرار واستحضار الصورة فى الذهن .

وكرر العطف بـــ (الفاء) دون (ثم) ليفيد الـــترتيب والتعقيـب دون تراخ فى الفعل .

ثم ختم الحديث بالمقابلة البليغة (آمـــر بـــالمعروف ولا أفعلـــه) و(أنهى عن المنكر وأفعله) للإيضاح والتأكيد فقد أقر هذا الرجـــل علـــى نفسه بأنه لم يمتثل بما أمر به غيره ، ولم يبتعد عما نهى عنـــــه غـــيره ، فكان جزاؤه النار ، وفيه تحذير وترهيب من الوقوع فى المعاصى.

وفى الحديث تعظيم للأمراء والأدب معهم وتبليغهم ما يقول النـلس فيهم ليكفوا ويأخذوا حذرهم بلطف وحسن تأدية ، بحيث يبلغ المقصود مـن غير أذية للغير [1]

❁ ❁ ❁

(١) - فتح البارى ٥٣/١٣

(١٠)

عن زينب ابنة جحش - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -دخل عليها يوما فزعا يقول " لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعيه الإبهام والتى تليها ، قالت زينب ابنة حجش : فقلت : يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : " نعم إذا كثر الخبث " [١]

❁ ❁ ❁

اللغة :

الشر : السوء ، وقوم أشرار ضد الأخيار ، والشر ضد الخير وجمعه شرور [٢]

يأجوج ومأجوج : قبيلتان من خلق الله [٣]

الخبث : الفسق والفجور [٤]

❁ ❁ ❁

(١) - صحيح البخارى ٨/٤٤٣

(٢) - اللسان ٤/٤٠٠

(٣) - اللسان ٢/٢٠٧

(٤) - اللسان ٢/١٤٥

المعنى الإجمالى :

يحذر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمته العربية المسلمة من شر متحقق ، فقد رأى فى منامه أنه فتح من روم يأجوج ومأجوج ، وخروجهما من علامات الساعة الكبرى ، فإذا أكثر الفسوق والفجور ، يكون ذلك علامة لهلاك الناس .

❁ ❁ ❁

السمات البلاغية :

بدأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - الحديث بأسلوب القصر (لا إله الا الله) وهى جمله خبرية يراد منها الدعاء والتضرع واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى ، أن ينجى العرب من هول ما شاهد فى رؤيته ، وتوحى هذه البداية بأن هذا الأمر سوف يتحقق لا محالة ، فمن شدة فزع الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعو المسلمين بالتمسك بالإيمان والصلاح فى الدنيا حتى لا تدركهم هذه الفتن فتكون سبب هلاكهم ، ونتأمل حسن البداية والخلوص الى الغرض فى يسر وسهولة وحسن الانتهاء وهذه هى اسلحة البليغ المتأنق فى كلامه .

ونتأمل قوله - صلى الله عليه وسلم - (ويل للعرب من شر قد اقترب) نجد جمال السجع فى (للعرب - اقترب) وما حققه من انسجام فى العبارة وتلاؤم لفظى وحسن التقسيم.

وقد خص العرب بالذكر لأنهم أول من اسلموا وفى تنكير كلمة (شر) يوحى بعظم وخطورة هذا الشر ، وفيه تنبيه وتحذير للعرب ، ونتأمل لفظ (قد اقترب) فالاقتراب قرينة على أنه لم يقع وعبر بالماضى

لتحقق الوقوع ، وفيه حث وتحذير للبعد عن هذه الفتن وجـــاء بـــالحرف " قد " لتأكيد التحقيق وأن هذا الشر سوف يقع .

وفصل بين جملة (فتـــح اليـــوم ...) والجملـــة قبلـــها ، لكمـــال الاتصال، فجملة (من شر قد اقترب) نجد فيها إبهام وإجمـــال فجـــاءت الجملة الثانية مفسرة وموضحة لهذا الإبهام ، فكانت منها بمنزلـــة عطـــف البيان فى إفادة الإيضاح ، وعطف البيان لا يعطف على متبوعـــه وهـــذه الصورة تفيد توضيح وتأكيد هذا المعنى فى نفوس السامعين .

❁❁❁

وبعـــد

فهذه بعض الأحاديث الشريفة من باب الفتن، اتضح منـــها نســـق البلاغة النبوية ، فكلامه عليه الصلاة والسلام - يعلو كـــلام الفصحـــاء ، فنجد الخلوص فى اللغة والأسلوب ، فلم نجد من ينفذ فى اللغة وأســـرارها بأسلوب جامع إلا النبى - صلى الله عليه وسلم - وقد قال - صلى الله عليه وسلم - " أوتيت جوا مع الكلم "

ويتحقق فى أحاديثه - صلى الله عليه وسلم - القصد والاقتصـــار والاختيار الصحيح للألفاظ المناسبة للمعانى ، ودائما نجد مراعـــاة حـــال المخاطب فى أحاديثه - صلى الله عليه وسلم - كما امتازت البلاغة النبوية بأدب الحوار.

ويمتاز النظم النبوى بالإيجاز والترابط بين الألفـــاظ والمعـــانى ، فنجد التنوع فى الأساليب الخبرية والإنشائية وأسلوب القصر ، والفصـــل والوصل إلى غيرها من الأساليب التى تبرز بلاغته - صلـــى الله عليـــه وسلم -

والصور البيانية من تشبيهات تمثيلية ومجازات لتقريب المعـــانى فى الأذهان وتثبيتها فى القلوب بصور حسية خالدة على مـــر العصـــور والأجيال ، والكنايات الكثيرة التى تؤكد المعنى فى نفس المسامع بـــالدليل ، حتى ينفذ إلى عقله ووجدانه .

وبالله التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم